النصرانية
من التوحيد إلى التثليث

الدكتور
محمد أحمد الحاج

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت

http://kotob.has.it

المبحث السابع

بطلان عقيدة التثليث

عرفنا فيما مضى أن عقيدة التثليث لا سند لها في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. . وما استدل به النصارى من أمارات تدل على ذلك، بينا أنها لا تصلح دليلاً على التثليث، فمحاولاتهم في الاستدلال لهذه العقيدة باءت بالفشل، لأنها عقيدة متأخرة عن كتابة الأناجيل، ولم تكن معروفة عند الأجيال الأولى التي عاشت مع المسيح عليه السلام أو مع حواريه وتلاميذه، كما أن العهد القديم لم يعرف هذه العقيدة إطلاقاً.

البراهين العقلية على بطلانها:

وبعد هذه الرحلة مع نصوص الكتاب المقدس التي اعتبرناها أدلة نقلية على بطلان التثليث، سنرى هنا تهافت هذه العقيدة أمام الأدلة العقلية، وذلك بإيراد البراهين العقلية التي تبرهن على بطلان هذه العقيدة وتناقضها، ولا بد لنا في هذا الموضع من الاستفادة مما كتبه علماء المسلمين الذين ردوا على عقائد النصارى الباطلة، واستعملوا في الرد سلاح العقل والعلم مثبتين أن هذه العقائد لا يمكن لرسول أو نبي أن يأتي بها، ونزهوا المسيح عليه السلام عن كل هذه الضلالات.

ومن أبرز هؤلاء الأعلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي كتب كتابه المشهور (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، وتلميذه ابن القيم وكتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)، والإمام القرطبي وكتابه (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام)، وقد حققه الدكتور (أحمد حجازي السقا)، والإمام أبو محمد بن حزم صاحب (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، وأبو الفتح الشهرستاني صاحب (الملل والنحل)، ولعل أروع ما كتب في الرد على النصارى

http://kotob.has.it

كتاب (إظهار الحق) الذي كتبه الشيخ رحمت الله الهندي (١٢٣٣ ــ ١٣٠٨هـ)، وما كتبه الإمام الفخر الرازي في تفسيره، وغير هؤلاء كثيرون، ولقد كان الرد على عقيدة التثليث الموضوع الأساسي في كل هذه الكتب، حيث بينوا عقيدة النصارى فيها، وردوا عليها، ولقد اطلعت على هذه الكتب إلاَّ أنني لم أدوِّن في هذا البحث عن الجميع وذلك لأن أدلتهم تتشابه في كثير من الأحيان.

ومن البراهين العقلية على إبطال التثليث ما يلي:

١ ــ (عقيدة الثالوث عقيدة اجتهادية بحتة مصدرها فهم بعض رؤساء الدين لا غير. . . وكما أن التثليث لم يتضح في العهد القديم فإنه لم يتضح أيضاً في العهد الجديد، وإنما هو نتيجة أفهام بعض الرؤساء غير المعصومين)[١]، ولا يصح في منطق العقل أو الشرع أن تكون أمور العقائد من وضع البشر المنقطعين عن الوحي فأمور العقيدة يقررها الله تعالى، أو الرسل الذين يتلقون الوحي عنه.

٢ ــ النصارى يقولون ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة، ويدعون أنهم يعبدون إلهاً واحداً في ثلاثة أقانيم، (والتثليث يعني الكثرة التي لا يمكن عند ثبوتها توحيد وإلاَّ لزم اجتماع الضدين، والواحد الحقيقي ليس له ثُلُث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح، وهو الواحد. والثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد ليس مجموع آحاد، والواحد جزء من الثلاثة، فلو اجتمعا في محل واحد، لزم كون الجزء كلاً والكل جزءاً وهذا يستلزم كون الله مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير، والكل مركب فكل جزء من أجزائه مركب)[٢].

٣ ــ إذا كان المسيح عليه السلام أحد الأقانيم الثلاثة، ومعروف أنه تلحقه الأعراض البشرية، كالجوع والعطش والشبع والأكل، وغير ذلك من صفات خلْقية، بينما الأب والروح القدس لا يلحقهما شيء من هذا، فكيف يكون واحداً من تلك الثلاثة، ويلحقه ما ليس يلحقهما؟ وعلى هذا الاستفهام يجيب صاحب مقامع

(١) سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، عبد الله العلمي: ص ٣٢٠ ــ ٣٢١.
(٢) إظهار الحق، رحمت الله الهندي، تحقيق د. السقا: ص ٣٣٥.

الصلبان فيقول: (فإن قلتم إن نصفه هو إله تام والنصف الآخر ليس الإله، يلزمكم إذا دعوتموه أن تقولوا: يا نصف الله ارحمنا، وإذا قيل لكم من إلهكم؟ فقولوا: هو نصف المسيح، فيكون نصفه خالقاً ونصفه معبوداً لنصفه وليس بإله تام، على أنكم لم تفعلوا شيئاً من ذلك بل بدنه لديكم معبود. . فإذا جعلتموه كله إلهاً فأنتم لا محالة تعبدون غير الله، ولا فرق عندكم بين الله وبين مخلوقاته)[١].

٤ ــ (لو وجد في ذات الله ثلاثة أقانيم حقيقية يلزم أن لا يكون الله حقيقة محصلة بل مركباً اعتبارياً، فإن التركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقار بين الأجزاء، فإن الحجر الموجود بجنب الإنسان لا يحصل بينهما أحدية، فإذا لم يفتقر بعض الأجزاء إلى بعضها، لم تتألف منها الذات الأحدية، على أن يكون الله في الصورة المذكورة مركباً، وكل مركب يفتقر في تحققه إلى كل جزء من أجزائه، والجزء غير الكل بالبداهة، فيلزم أن يكون الله ممكناً لذاته)[٢].

٥ ــ (الآب إما أن يكون هو الابن أو هو غيره، فإن قالوا هو غيره سئلوا: من الملتحم في مشيمة مريم المتحد مع طبيعة المسيح، الآب أم الابن؟ فإن قالوا: الابن بطل أن يكون هو الآب، وخالفوا يوحنا إذ يقول في أول إنجيله: (وكان الكلمة الله)[٣] فإذا كانت هي الله، والتحمت في مشيمة مريم، فالله تعالى نفسه التحم في مشيمة مريم، وفي أمانتهم أن الابن هو الذي التحم، وهذه وساوس لا نظير لها. . وإن قالوا: بل الآب فقد بطل أن يكون هو الابن، وخالفوا بذلك يوحنا والأمانة، وإن قالوا هو الآب وهو الابن، تركوا قولهم أن الابن يقعد عن يمين أبيه، وأن الآب يعلم وقت القيامة، والابن لا يعلمها، وقولهم في يوحنا الآب فوض أمره لابنه، والآب أكبر من الابن)[٤].

٦ ــ (إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم فالأمر الذي حصل به هذا

(١) مقامع الصلبان، الخزرجي: ص ٨٤ ــ ٨٥.
(٢) انظر: إظهار الحق، رحمت الله الهندي: ص ٣٣٥.
(٣) يوحنا: ١/١.
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم: ١/٥٥.

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it

الامتياز، إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون، فعلى الشق الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركاً فيه بينهم، وهو خلاف ما تقرر عندهم أن كل أقنوم متصف بصفات الكمال، وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمال وهذا نقص)[1].

٧ ــ (الاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي، لو كان حقيقياً لكان أقنوم الابن محدداً متناهياً، وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكناً، فيكون أقنوم الابن محدثاً، ويستلزم حدوثه حدوث الله)[2].

بعد ذكر هذه البراهين السبعة أود أن أفرد رداً خاصاً ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد ذكر مقالة النصارى في التثليث، ثم ردّ عليها من وجوه ستة، وبعد ذلك ذكر قانون الإيمان الذي وضع في مجمع نيقيا سنة ٣٢٥م، ثم ردّ عليه، وبيَّن تناقضه، وعدم صحته، ومخالفته للعقل والنقل، بأسلوب رائع وبمنطق فكري معقول.

لقد ذكر ابن تيمية قولهم بأن الأقانيم إنما هي ثلاثة أسماء: إلّه واحد ورب واحد وخالق واحد، ولكنها مسمى واحد لم يزل ولا يزال شيئاً ناطقاً أن الذات والنطق والحياة، فالذات هي الآب الذي هو ابتداء الاثنين، والنطق الابن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل، والحياة هي روح القدس. وأجاب ابن تيمية رحمه الله عن هذه المقالة بوجوه منها[3]:

الأول: أن أسماء الله كثيرة، والاقتصار على ثلاثة منها باطل.

الثاني: قولهم: الآب ابتداء الاثنين، والابن النطق الذي هو مولود منه ولادة النطق من العقل كلام باطل، فإن صفات الكمال لازمة لذات الرب عز وجل أولاً وآخراً، لم يزل ولا يزال عالماً قادراً، لم يصر حياً بعد أنْ لم يكن حياً ولا عالماً بعد أنْ لم يكن عالماً.

(١) إظهار الحق، رحمت الله الهندي: ص ٣٣٦.
(٢) نفس المرجع: ص ٣٣٦.
(٣) انظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية: ٢/١١٢ ــ ١١٥.

الثالث: قولهم أن الابن مولود من الله، إن أرادوا به أنه لا صفة لازمة له كذلك الحياة صفة لازمة له، فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً، وإن أرادوا به أنه حصل منه بعد أن لم يكن، لزم أن يكون عالماً بعد أن لم يكن، وهذا مع كونه كفراً وباطلاً فيلزم مثله في الحياة.

الرابع: تسمية حياة الله بالروح القدس، أمر لم ينطق به شيء من كتب الله المنزلة، فهو من تبديلهم وتحريفهم.

الخامس: أنهم يدعون أن المتحد بالمسيح هو الكلمة الذي هو العلم، فإن أرادوا به نفس الذات العالمة كان الابن هو الآب، وكان المسيح نفسه هو الآب وهو الابن وهو روح القدس، وهذا عندهم وعند جميع الناس باطل، وإن قالوا: المتحد به العلم، فالعلم صفة لا تفارق العالم، ولا تفارق الصفة الأخرى التي هي الحياة فيمتنع أن يتحد به العلم دون الذات ودون الحياة.

السادس: أن العلم أيضاً صفة والصفة لا تخلق ولا ترزق، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء، وأيضاً فهو عندهم خالق السموات والأرض، فامتنع أن يكون المتحد به صفة، فإن الله المعبود هو الإلّه الحي القادر، وليس هو نفس الحياة، ولا نفس العلم والكلام، فلو قال قائل: يا حياة الله أو يا علم الله أو يا كلام الله اغفر لي كان هذا باطلاً في صريح العقل... وكلمات الله كثيرة لا نهاية لها، وفي التوراة أنه تعالى خلق الأشياء بكلامه، وكان في أول التوراة أنه قال: ليكن كذا، ليكن كذا)[1].

السابع: وفي هذا الوجه ذكر لنا ان تيمية قانون الإيمان النيقاوي، ثم قال بعد ذلك: ففي هذه الأمانة التي جعلتموها أصل دينكم ذكر الإيمان بثلاثة أشياء: بإلّه واحد خالق السموات والأرض وكل شيء.. وهو الذي لا إلّه غيره وهو الذي دعت جميع الرسل لعبادته وحده لا شريك له.

(١) تجد في أول التوراة: قال الله ليكن نور فكان نور... وقال الله ليكن جلد في وسط المياه، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه... (انظر: التكوين، الإصحاح الأول).

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it

ثم قلتم: وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، فصرحتم بالإيمان مع خالق السموات والأرض برب واحد... وقلتم: (هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه) وهذا التصريح بالإيمان بإلهين أحدهما من الآخر... ولا يساوي الآب في الجوهر إلاَّ جوهر، فوجب أن يكون الابن جوهراً ثانياً، وروح القدس ثالثاً، وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر وثلاثة آلهة، ويقولون مع ذلك إنما نثبت جوهراً واحداً، وهذا جمع بين نقيضين، فهو حقيقة قولهم. فهم يجمعون بين جعل الآلهة واحداً، وإثبات ثلاثة آلهة، وبين إثبات جوهر واحد وإثبات ثلاثة جواهر، وقد نزَّه الله عن ذلك نفسه بقوله: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد﴾[1].

فنزه نفسه عن قولهم بأنه الآب، فقال: (لم يلد) ونزه نفسه عن قولهم بأنه الابن المولود فقال: (ولم يولد)[2].

وعلى قول النصارى: إن الله (أحدي الذات ثلاثي الصفات) يرد (ابن تيمية) فيقول: (قد صرحتم في وثيقة الأمانة بإثبات إله حق، وأنه مساو للأب في الجوهر، وهذا تصريح بإثبات جوهر ثان، لا إثبات صفة...)، أما قولكم هذا بمنزلة قولك: (زيد الطبيب الحاسب الكاتب)، ثم تقول: (وزيد الحاسب وزيد الكاتب).. وقد يفسرون هذا الأقنوم بهذا فيقولون هو الذات مع الصفة، فالذات مع كل صفة أقنوم، فصارت الأقانيم ثلاثة، لأن هذا المثال لا يطابق قولكم، فإن زيداً هنا جوهر واحد له صفات الطب والحساب والكتابة، وليس هنا ثلاثة جواهر، ولكن لكل صفة حكم ليس للأخرى ولا يقول عاقل: إن الصفة مساوية للموصوف في الجوهر، ولا أن الذات مع هذه الصفة تساوي الذات مع الصفة الأخرى في الجوهر، لأن الذات واحدة، والمساوي ليس هو المساوى)[3].

***

(١) سورة الإخلاص.
(٢) انظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية: ٢/١١٧.
(٣) نفس المرجع: ٢/١١٩.

http://kotob.has.it

المبحث الثامن

الرد على أزلية المسيح وبنوته

يؤمن النصارى بأزلية الكلمة التي هي المسيح، كما يؤمنون باتحاد هذه الكلمة مع الله، ومن هنا كان قولهم بلاهوت الكلمة. ولعل النص الوحيد الذي يستند إليه النصارى في ذلك هو مقدمة إنجيل يوحنا، الذي ما كتب إنجيله إلاَّ لنشر فكرة ألوهية المسيح عليه السلام، فكتب في بداية إنجيله يقول: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله)[1].

ورغم إشارتنا إلى عدم صحة سند هذا الإنجيل، وما أوردته دائرة المعارف البريطانية في التشكيك به وبمؤلفه، ومعرفتنا أن الإنجيل قد خلا من مثل هذه العبارات الفلسفية إلاَّ أننا سننقل أقوال بعض الباحثين الذين رأوا أن لهذه العبارات تفسيرات أخرى غير التي يفهمها النصارى، وتقرها كنائسهم.

وقد نقل لنا الشيخ عبد الله العلمي عن الدكتور وليم أدلي الأمريكي في كتابه (شرح الأناجيل الأربعة) تفسيرات تستبعد معها أزلية المسيح أو اتحاده، فقال: (وعبارة يوحنا كما تحتمل القول بأزلية الكلمة التي هي المسيح، وأقنوميته واتحاده مع الأب ولاهوته، فهي تحتمل عندنا تفسيراً آخر صورته أن يقال: (في البدء) أي في بدء تنزل الوحي العتيق على أنبياء الناموس، كان الكلمة وهو المسيح، كان مبشراً به ومنتظراً ومسطوراً في الأسفار القديمة باسم الكلمة الصالحة (ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا)[2]، (وسمي أيضاً بذلك على ألسنة اليهود المنتظرين ظهوره)[3].

(١) يوحنا: ١/١ ــ ٢.
(٢) أرميا: ١٤/٣٣.
(٣) سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، عبد الله العلمي: ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦.

http://kotob.has.it

ويبين لنا الشيخ العلمي أن (البدء) لا يشترط أن تحتمل معنى الأزل فقط، فهي تحتمل معاني أخرى جاءت بها نصوص من الأناجيل، فقد تكون بمعنى ابتداء خدمة المسيح كما في إنجيل لوقا: (كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء، معاينين وخداماً للكلمة)[1].

والمقصود بـ (منذ البدء) هنا بداية خدمتهم للمسيح، ووردت بهذا المعنى كذلك في إنجيل يوحنا: (لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون، ومن هو الذي يسلمه)[2].

(وقد عنى هنا بقوله (من البدء) ابتداء خدمته وإتيان التلاميذ إليه)[3]، ومن قول يوحنّا: (والكلمة كان عند الله) يستدل النصارى على أزلية المسيح قائلين بأن هذه العندية تعني (القدم) لأنه عند القديم، كما تعني الاتحاد مع الله، وهذا الاتحاد أعطى المسيح صفة اللاهوتية.

وردّ على ذلك الشيخ (العلمي) بقوله: (عندية المسيح في قول يوحنا، هي عندية معنوية لا محسوسة، ولا عندية اتصال واتحاد، لاستحالة ذلك على الله تعالى)[4].

ويورد الشيخ (العلمي) على هذا المعنى نصوصاً من القرآن الكريم ومن العهد القديم، ومن هذه الأدلة: ما ورد في القرآن الكريم في وصف إسماعيل: ﴿وكان عند ربه مرضياً﴾[5]، فهذه الآية لا تعني العندية المكانية الحسية لإسماعيل عليه السلام عند ربه. وفي قول امرأة فرعون: ﴿رب ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة﴾[6].

(١) لوقا: ٢/١.
(٢) يوحنا: ٦٤/٦.
(٣) انظر: سلاسل المناظرة، العلمي: ص ٣٠٦.
(٤) نفس المرجع: ص ٣٠٧.
(٥) سورة مريم: الآية ٥٥.
(٦) سورة التحريم: الآية ١١.

وهذا المعنى أيضاً نظير ما في سفر التكوين: (وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت (قابيل) وقالت: اقتنيت رجلاً من عند الرب)[1].

وكلمة (من عند الرب) هنا لا تعني بأي حال الأزلية أو العندية الحسية، وإنما تعني عندية مكانة وتفخيم. (يقول د. (وليم إدي) في شرحه لإنجيل يوحنا: يحق للمسيح أن يسمى (كلمة) لأن الله كلمنا به كما جاء في رسالة (بولس) إلى العبرانيين: (الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه)[2]، فالمسيح أعلن لنا عن الله بتعاليمه وبسيرته وبأعماله، وهذا الاحتمال في معنى الكلمة، تؤيده الأسفار القديمة والجديدة من تسمية الوحي (كلمة))[3].

وعلى هذا المعنى ما ورد في سفر أرميا: (وصارت إلي كلمة الرب. .)[4]. بمعنى الوحي وفي سفر التثنية نجد: (بل الكلمة قريبة منك جداً في فمك وفي قلبك لتعمل بها)[5].

وعلى ذلك فإنه لا وجه لاختصاص المسيح بإطلاق الكلمة عليه دون غيره، فهي قد أطلقت على الوحي، والقرآن يذكرها لآدم: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾[6]، وأطلقتها التوراة بمعنى خلق الأشياء كلها: (وقال الله ليكن نور فكان نور)[7].

فالكلمة هي كلمة (التكوين) وذلك لأن أمر الخلق والتكوين بيد الله، أما عن سبب إطلاقها على المسيح عليه السلام فيجيب الشيخ العلمي بما يلي بنقطتين، هما[8]:

(١) التكوين: ١/٤.
(٢) العبرانيين: ١/١ ــ ٢.
(٣) انظر: سلاسل المناظرة، العلمي: ص ٣٠٧.
(٤) أرميا: ١/٢.
(٥) التثنية: ١٤/٣٠.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٥٩.
(٧) التكوين: ٣/١.
(٨) سلاسل المناظرة، العلمي: ص ٢٦٠.

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it

١ ــ الكلمة أطلقت على المسيح لفقد تكوينه من عناصر علوق الجنين المعتادة فأضيف هذا التكوين إلى كلمة الله . .

٢ ــ للإشارة إلى بشارة الأنبياء به فهو قد عرف بكلمة الله أي بوجيه للأنبياء .

وردّاً على ادعاء النصارى أن الكلمة في قول يوحنا يراد بها الأقنوم الثاني ، وهو المسيح يذكر الشيخ العلمي دليلين على بطلان هذا الادعاء هما[١] :

١ ــ ليس في الأسفار ذكر صريح لحمل لفظ (الكلمة) على الأقنوم الثاني ، فكثيراً ما أطلق وأريد به كلمة الوعد والبشرى، كما قيل : لأنه ذكر كلمة قدسه مع إبراهيم عبده[٢]، وما ورد في أخبار الأيام الأول : (اذكروا إلى الأبد عهده الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل)[٣] .

٢ ــ بطلان كون المسيح متحداً مع الله أو مساوياً له في الجوهر لمجرد إطلاق لفظ الله عليه ، إذ أطلق هذا اللفظ على أشخاص آخرين غير المسيح ، فأطلقها سفر الخروج على الملاك : (وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . . . ناداه الله من وسط العليقة)[٤] .

وفي سفر القضاة : (حينئذٍ عرف (منوح) أنه ملاك الرب ، فقال (منوح) لامرأته نموت موتاً لأننا قد رأينا الله)[٥] .

وأطلقت كلمة الله على القاضي في سفر الخروج (يقدم صاحب البيت إلى الله ، . . . تقدم إلى الله دعواهما)[٦]، كما أطلقت على الشريف وعلى القوي في سفر التكوين : (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن

(١) سلاسل المناظرة، عبد الله العلمي : ص ٢٦١ ــ ٢٦٢ .
(٢) مزمور : ١٠٥ ــ ٤٢ .
(٣) الأيام الأول : ص ١٥ ــ ١٦ .
(٤) خروج : ٢/٣ ــ ٤ .
(٥) قضاة : ٢١/١٣ ــ ٢٢ .
(٦) خروج : ٨/٢٢ ــ ٩ .

أبناء الله رأوا بنات الناس أنهنّ حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا . . . وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً)[١] .

مما تقدم يتبين لنا أنه لو فرضنا جدلاً صحة ما جاء به يوحنا في مقدمة إنجيله، فإن هذه الألقاب التي راح يطلقها على المسيح عليه السلام، لا تختص به وحده، ولا تدل على لاهوته، بل أطلقتها أسفار الكتاب المقدس على غيره، ومن الممكن أن تؤول هذه الألقاب إلى معانٍ أخرى غير المعاني التي حصرها النصارى لها .

الرد على بنوة المسيح لله تعالى :

لا شك أن المسيح عليه السلام وصف في الأناجيل بأنه (ابن الله) في نصوص كثيرة منه . كما وصف الله تعالى في هذه الأناجيل بأنه الآب، ومن ذلك ما ورد في إنجيل متى : (فكل من يعترف بي قدّام الناس أعترف أنا أيضاً به قدّام أبي الذي في السموات)[٢]، (أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض)[٣]، (وكل شيء قد دفع إلي من أبي وليس أحد يعرف الابن إلّا الأب . . .)[٤] .

وعلى ذلك يعتمد النصارى في أدلتهم على إطلاق لقب الابن على المسيح عليه السلام، لكن المتتبع لنصوص الأناجيل يجد أن وصف الله بالآب لم يقتصر على علاقة خاصة مفردة بين الله والمسيح ، وكذلك وصف الابن لم يقتصر في الأناجيل على المسيح أيضاً .

كما أننا نجد المسيح عليه السلام في هذه الأناجيل يطلق على نفسه ألقاباً أخرى مثل لقب (ابن الإنسان) (ابن داود) كما وصف بأنه (إنسان) وسنذكر هذه المواضع في الفصل القادم إن شاء الله .

(١) تكوين : ١/٦، ٢، ٤ .
(٢) متى : ٣٢/١٠ .
(٣) متى : ٢٥/١١ .
(٤) متى : ٢٧/١١ .

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it

فلفظ الآب جاء وصفاً عاماً لعلاقة الله بالمؤمنين جميعاً، ويكاد أن يقصد به ما يقصد بالرب بوجه عام: (ويمجدوا أباكم الذي في السموات)[1].

فهو أب للمؤمنين جميعاً: (فكونوا أنتم كاملين كما أنَّ أباكم الذي في السموات هو كامل)[2]. ويقول الدكتور فتحي عثمان: (والتعبير عن العلاقة بين الله وعباده بالأبوة شاع بين اليهود قبل المسيح، كما حكت الأناجيل المتداولة والأسفار اليهودية المتداولة أيضاً، فقد قيل عن أشعيا: (هو ذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سرت به في نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق)[3].

وقد تردد وصف أفراد بابن الله وجماعات بأبناء الله في الأسفار اليهودية بمواضع عديدة، فقد وصف بذلك يعقوب عليه السلام: (هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر، فقلت له أطلق ابني ليعبدني)[4].

ووصف المسيح المنتظر مسيا (MESSIAH) من اليهود قبيل بعثه المسيح بأنه ابن الله وهكذا كان أطلق هذا الوصف على المسيح في أول الأمر وصيفياً على حد تعبير اللاهوتي الكاثوليكي (درمون لين) وإنما جاء اقتران هذا اللفظ بإشارات ميتافيزيقية متأخراً في الفترة الهلنستية)[5].

والكتاب المقدس يطلق لقب (ابن الله) على أناس كثيرين، فهو يطلقه على كل بار، ولذلك جاء في إنجيل مرقص وصف المسيح بأنه إنسان بار (.. قال: حقاً كان هذا الإنسان باراً)[6].

(١) متى: ٥/١٦.
(٢) متى: ٥/٤٨.
(٣) متى: ١٢/١٨.
(٤) الخروج: ٤/٢٢ ــ ٢٣.
(٥) مقال الدكتور فتحي عثمان، تحت عنوان: التثليث والنصرانية، في مجلة (هذه سبيلي): ص ٣٥٠ ــ ٣٥١.
(٦) مرقص: ١٥/٩.

وأطلق لفظ (ابن الله) في حق الصالح (وابن إبليس) في حق الطالح: (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون)[1].

وإنجيل يوحنا يورد حواراً بين عيسى عليه السلام وبين اليهود حين قالوا له: (أبونا هو إبراهيم)، قال لهم يسوع: (لو كنتم أولاد إبراهيم كنتم تعملون أعماله، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله، هذا لم يعمله إبراهيم)[2]. وحين قالوا له: (لنا أب واحد وهو الله فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قبل الله، وأتيت لأني لم آت من نفسي، بل ذاك أرسلني... أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا)[3].

وليس عيسى وحده هو المولود من الله كما جاء في الأناجيل، فقد جاء في رسالة يوحنا الأولى: (كل من يحب فقد ولد من الله)[4].

(كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله)[5].

(إني أصعد إلى أبي وأبيكم)[6].

واليهود والنصارى يقولون إنهم أبناء الله، ففي أسفار العهد القديم يقول الله ليعقوب: (إيتِ ببني من بعيد وبناتي من أقصى الأرض)[7].

وفي العهد الجديد يرد في إنجيل لوقا: لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة)[8].

(١) متى: ٥/٩.
(٢) يوحنا: ٨/٣٩ ــ ٤٠.
(٣) يوحنا: ٨/٤١ ــ ٤٤.
(٤) يوحنا الأولى: ٤/٧.
(٥) يوحناالأولى: ٥/١.
(٦) يوحنا: ٢٠/١٧.
(٧) أشعيا: ٤٣/٦.
(٨) لوقا: ٢٠/٣٦.

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it

وفي سفر الرؤيا: (من يغلب يرث كل شيء، وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً)[1].

والقرآن الكريم يذكر ذلك بقوله: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾[2].

وأمثال هذه النصوص في الكتاب المقدس كثيرة، مما يجعلنا نؤكد أن صلة بنوَّة المسيح لله تعالى مجازية لا حقيقية كما يدعي النصارى.

يقول الشيخ (عبد الوهاب النجار): (معلوم أن لفظ الابن بمعناه الحقيقي باتفاق لغات أهل العالم أنه المتولد من نطفة الأب الملقحة لبيضة الأم، وذلك محال على الله أن تكون له صاحبة أو يوجد له ولد، يتولد من نطفته ــ تعالى الله عما يقولون ــ فلا بدَّ من الحمل على معنى مجازي يناسب شأن المسيح عيسى بن مريم، بحيث لا يحط من قدر الله، ولا يرفع المسيح فوق قدر نفسه)[3].

ويقول الشيخ (النجار) بعد ذكره لمن أطلق الكتاب المقدس عليهم لفظ (ابن الله) يقول: (.. ولو كان كل ما يسميه الله ابناً يحمل على البنوة الحقيقية ويكون إلهاً مستوجباً للعبادة لكان كل بني إسرائيل آلهة، لأن الله أطلق على شعب إسرائيل بني)[4].

أما المعنى الذي يراه شيخ الإسلام (ابن تيمية) مناسباً لعلاقة البنوة بين الله وعيسى، فيذكره بعد أن يورد نصوص الأناجيل فيقول: (فإن كان هذا صحيحاً، فالمراد بذلك أنه الرب المربي الرحيم، فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والابن هو المربى المرحوم، فإن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها، فيكون المراد بالأب الربّ، والمراد بالابن عنده المسيح الذي رباه)[5].

(١) الرؤيا: ٢١/٧.
(٢) سورة المائدة: الآية ١٨.
(٣) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار: ص ٤٥٨.
(٤) الخروج: ٤/٢٢.
(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية: ٢/٩٧.

يقول الدكتور (نظمي لوقا) وكان نصرانياً فأسلم في كتابه (محمد ﷺ الرسالة والرسول): (وأما البنوَّة لله عز وجل فما ورد لها ذكر إلاَّ على سبيل المجاز المطلق، وبمعنى يشمل البشر كافة حين أوصى أن تكون صلاة الناس إلى بارئهم بقوله: (أبانا الذي في السماء) وحين طالب أتباعه وجميع الناس أن يسلكوا طريق البر كي يكونوا جديرين بنسبتهم إلى الله، فالمسيح رفع خصوصية البر عن اليهود الذين قالوا: إن أبناء إبراهيم وحدهم هم الناجون، لأن الناس كافة أبناء الله ما سلكوا طريق البر وأحبوا الله... وما أقرب هذا أن يجعل رعاية الأبوة شاملة لجميع الكائنات، وما أبعده أن يكون السر أو اللغز المعقد الذي اختلفت فيه أقوال المفسرين من أساطين الكهان وعلماء اللاهوت)[1].

ومما تجدر ملاحظته مما ذكرناه: أننا نجد أنفسنا أمام قسمين من نصوص الكتاب المقدس: القسم الأول: يصرح بأن المسيح هو ابن الله، والقسم الثاني: يطلق هذا اللفظ على غير المسيح ويعتبره عاماً يشمل المؤمنين جميعاً، ولقد كان هذا التضارب سبباً من أسباب الخلاف، وتعدد الآراء الذي شهدته المسيحية في عصورها الطويلة حول هذا المفهوم، وغيره ولا زالت تشهده.

وقد أصدرت البابوية في روما تعاليم سنة ١٩٦٤م تحاول أن تبرر ما ورد في الأناجيل المتداولة عن بنوَّة المسيح وبشريته جنباً إلى جنب مع الإشارات إلى بنوَّته بالتفسير اللاهوتي الميتافيزيقي الذي تعتنقه الكنيسة فذكرت أن هناك ثلاث مستويات من الرواية انتهت إلى الأناجيل في صورتها القائمة المتداولة. أولها: كلمات المسيح وأفعاله الأصلية ذاتها التي نقلت عن طريق وسائل العرض والإقناع التي كانت سائدة في ذلك الوقت، والكنيسة تشير بذلك إلى قصور الوسائط الثقافية وقتذاك، ولكنها إشارة تؤكد أن الصياغة اللاهوتية لمعتقدات بنوة المسيح لله، والتثليث على نحو ما عرفت من بعد، كانت أمراً طارئاً متأخراً، وليست هي الأصل.

(١) محمد ﷺ الرسالة والرسول، الدكتور نظمي لوقا: ٤١/٤٢، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩م، الشركة العربية للطباعة والنشر ــ القاهرة.

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it

ثم جاء المستوى الثاني للرواية كما تطرحه تعاليم البابا الصادرة سنة ١٩٦٤م، وهذا المستوى جاء ممثلاً في الإعلام الشفوي لحواريي المسيح أو تلاميذه عن حياة المسيح وموته (في اعتقاد الكنيسة) وقيامته، وهو يمثل مرحلة من الفهم الإنساني للوقائع في ضوء ما انتهت إليه حياة المسيح، وتختلط في الصورة الأدبية المختلفة للتعبير عن ذلك الفهم من محاورات وقصص وروايات شهود عيان وتراتيل ودعوات.

ثم يأتي المستوى الثالث للرواية بتصنيف ما بلغه الحواريون في صورة الأناجيل المكتوبة المتداولة الآن، وهكذا تداخلت محاولات الفهم والتفسير مع رواية الوقائع والأحداث على مر الأجيال[1].

والكنيسة إذ تحاول بيان سبب الاختلاف البين بين الأناجيل، وقل إن شئت التناقض الواضح بين نصوصها، فترجع سبب ذلك كله إلى طريقة النقل لأقوال المسيح وأفعاله، وهي تشير ولو بإشارة خفية إلى أن هذا النقل لم يحظَ بالطريقة العلمية الدقيقة وهي السماع والحفظ الذي تؤيده الكتابة المباشرة، وهذه هي الطريقة التي نقل بواسطتها إلينا القرآن الكريم، ولم تتوفر هذه الطريقة للأناجيل فإن الكتابة جاءت مرحلة متأخرة عن مرحلتي العرض والإقناع، والإعلام الشفوي، (واللاهوتيون المسيحيون يفسرون التأكيد على بشرية المسيح في الأناجيل المتداولة بأن ذلك كان بتأثير البيئة اليهودية التي بعث فيها المسيح، والتي لا تفهم غير إله متعالٍ، ونبي بشر)[2]، وهذا ما تلمسه واضحاً في أسفار العهد القديم، التي يعتبرها النصارى جزءاً من الكتاب المقدس.

وعلى ذلك فإن القول ببنوة المسيح لله تعالى قول لا تجد له سنداً تاريخياً، ولا أدلة قطعية من أسفار الكتاب المقدس، بل هو قول اجتهادي دخيل طارىء على النصرانية، فهو مخالف للنصوص النقلية، ومخالف لأبسط قواعد العقل.

(١) النصرانية والتثليث، مقالة للدكتور فتحي عثمان، مجلة (هذه سبيلي) يصدرها المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض، السنة الأولى سنة ١٣٩٨هـ، عدد ١: ص ٣٥٢ ــ ٣٥٤.

(٢) نفس المقال.

http://kotob.has.it

يقول صاحب (الفارق بين المخلوق والخالق): (أما من جهة العقل فإن الإله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته، فولده إما أن يكون أيضاً واجب الوجود أو لا يكون، فإن كان مستقل بنفسه قائم بذاته لا تعلق له في وجوده بالآخر، ومن كان كذلك لم يكن مولوداً البتة، لأن المولودية تشعر بالفرعية والحاجة، وإن كان ذلك الموجود ممكن الوجود لذاته فعندئذٍ يكون وجوده بإيجاد واجب الوجود لذاته، ومن كان كذلك يكون مخلوقاً لا ولداً... ثم إن الولد يحتاج أن يقوم مقام والده بعد فنائه، وهذا يعقل في حق من يفنى، أما من تقدس عن ذلك فلا يعقل الولد في حقه، ثم إن الولد لا بد وأن يكون متولداً من جزء من أجزاء الوالد، وهذا لا يعقل إلاَّ في حق من يكون مركباً، ويمكن انفصال بعض أجزائه عنه، وهذا في حق الله محال)[1]، هذه ردود عقلية ثلاثة أثبت فيها صاحب الفارق استحالة كون المسيح عليه السلام ابناً لله بالمعنى الذي فهمه النصارى، واعتقدوه:

أولها: أن الله واجب الوجود لذاته، وما تولد منه إن كان مثله واجب الوجود لذاته فهو إله آخر مستقل، وبالتالي أصبحنا أمام إلهين اثنين، يستقل كل واحد منهما عن الآخر، ولا يحتاج إليه، وهذا خلاف لما قال به النصارى أنفسهم. أما إن كان الأب ممكن الوجود لذاته فهو محتاج إلى واجب الوجود، وهذه صفات المخلوق.

ثانيها: لا يعقل الولد في حق الله لأنه لا يفنى، والمحتاج إلى ولد يقوم مكانه بعد فنائه، هو الفاني المحدث.

ثالثها: الولادة لا بد وأن تكون ناشئة عن جزء من الوالد، وهذا لا يعقل في حق الله، لأنها لا بد وأن تصدر عن مركب يمكن انفصال بعض أجزائه ــ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ــ.

***

(١) الفارق بين المخلوق والخالق، باجة أفندي: ص ١١٧.

http://kotob.has.it

الفصل الرابع

الأدلة الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام... عبد الله ورسوله

المبحث الأول : رسالة عيسى عليه السلام وعبوديته لله في أسفار العهد الجديد.

المبحث الثاني : إنجيل برنابا.. وأدلته على بشرية المسيح ورسالته.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المبحث الأول

رسالة عيسى عليه السلام

وعبوديته لله في أسفار العهد الجديد

لقد مكث المسيح عليه السلام فترة محدودة في دعوته لا تعدو ثلاث سنوات، وما كان الناس في تلك الفترة يعرفونه أكثر من كونه نبياً من أنبياء بني إسرائيل.

وكان الجيل الأول من النصارى من أتباع المسيح وحوارييه الذين عاشوا معه موحدين لله، معترفين بأن المسيح عليه السلام لا يعدو أن يكون بشراً أرسله الله تعالى إليهم، كما أرسل من قبله كثيراً من إخوانه المرسلين عليهم السلام.

وإن الذي يراجع الأناجيل الثلاثة الأولى ــ بوضعها الحالي رغم ما لحقها من التحريف والتبديل ــ لا يجد فيها ما يصرِّح بأن عيسى عليه السلام إلٰه أو ابن إلٰه، بل إنها تحتوي على مئات النصوص التي تدل صراحةً على أنه رسول بشر.

إننا لا نجد وصف المسيح بالألوهية إلَّا في الإنجيل الرابع، إنجيل يوحنا الذي ينسب إلى (يوحنا بن زبدي) أحد تلاميذ المسيح عليه السلام.

وقد أنكر جمهور كبير من النصارى نسبة هذا الإنجيل إليه، وهذا الإنكار قديم (فإن العلماء بالمسيحية في آخر القرن الثاني الميلادي أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري، وكان بين ظهرانيهم (أرينيوس) تلميذ (بوليكارب) تلميذ يوحنا الحواري، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة هذه النسبة.. قال (استادلن) في العصور المتأخرة: إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، ولقد كانت فرقة (الوجين) في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا)[1].

---

(١) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص ٥٤.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

فالتشكيك في هذا الإنجيل قديم ومن النصارى أنفسهم.

وقد اختلف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل، وحتى الذين ينسبونه ليوحنا الحواري فإنهم لم يتفقوا على سنة تدوينه، وينقل لنا الشيخ محمد أبو زهرة هذا الاختلاف ويذكر (أن الدكتور (بوست) يرجح أنه كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ وقيل سنة ٩٦)[١].

وكذلك الخلاف حاصل في الغرض من تدوينه، وإلى ذلك أشار الأب (بطرس فرماج) بقوله: (وحيث لم يبقَ من الرسل على الأرض غير القديس يوحنا طلب إليه المؤمنون شرقاً وغرباً بمزيد الإلحاح أن يفنِّد أقوال الذين ينكرون ألوهية المسيح.. وحينئذٍ بأمر من الروح القدس أخذ يكتب الإنجيل المقدس، لأن الثلاثة الإنجليين الآخرين كانوا قد أوردوا كل ما يتعلق بناسوت السيد المسيح، وكان جلُّ غرضه من كتابة إنجيله أن يثبت لاهوته)[٢].

هذا الكلام وإن كان الأب (بطرس فرماج) يحاول به أن يقنع النصارى عاطفياً بصحة هذا الإنجيل، وبأنه كان بأمر الروح القدس رداً على المخالفين إلاَّ أنه غير مقبول من الناحية العلمية، وفيه التصريح الواضح أن الغرض الأساسي من كتابته هو إثبات لاهوت السيد المسيح، خلافاً للأناجيل الثلاثة الأولى التي لم تتعرض لهذه القضية.

فيبدو أن رجال الدين الذين نادوا بفكرة ألوهية المسيح، أزعجهم أن الكتاب المقدس لا يضم نصوصاً تؤيد فكرتهم، فراحوا يفكرون بوضع إنجيل يحوي هذه الأفكار، فكتبوه ونسبوه إلى أحد الحواريين.

فأساقفة بعض الكنائس هم الذين رأوا الحاجة ملحة لإنجيل مثل هذا الإنجيل يضم أفكارهم اللاهوتية.

(١) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص ٥٧.
(٢) مروج الأخيار في تراجم الأبرار، بطرس فرماج: ص ٨١٨، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين ـ بيروت سنة ١٨٧٧م.

يقول (يوسف الدبس الخوري) في مقدمة تفسيره (من تحفة الجيل): (إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا وغيرها، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح، فطلبوا منه إثباته، وذلك ما أهمله متى ومرقص ولوقا من أناجيلهم)[١].

ويظهر من ذلك أن هؤلاء الأساقفة قد اعتنقوا ألوهية المسيح من قبل وجود أي إنجيل يصرح بها، فما سندهم يا ترى في هذا الاعتقاد؟

إن علماء النصارى أنفسهم يشكك كثير منهم في نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري، وبعضهم يعتبره تصنيف طالب من مدرسة الإسكندرية (ولقد قال (استادلن) في العصور المتأخرة: (إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، ولقد كانت فرقة (الوجين) في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا)[٢].

(ولقد جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزوَّر أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزوِّر في متن الكتاب أنه الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه. وإنّا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألَّف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدًى لخبطهم على غير هدى)[٣].

(١) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص ٥٧.
(٢) نفس المرجع: ص ٥٤. عن دائرة المعارف البريطانية.
(٣) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص ٥٤.

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it

وبعد هذا الكلام عن هذا الإنجيل، هل يصلح للاستناد عليه في الأمور العقدية التي لا بد لها من الأدلة القطعية الثبوت؟

ومع أننا ندرك أن الأناجيل الثلاثة الأولى لم تخلُ أيضاً من التحريف والتزوير إلَّا أننا سنخصص هذا المبحث لإيراد بعض النصوص الإنجيلية (من الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم بين النصارى) التي تدل صراحة على أن المسيح عليه السلام بشر رسول من عند الله وعبد طائع له، وكان استدلالنا بها لأن النصارى يعتبرونها نصوصاً مقدسة.

النصوص الدالة على بشرية المسيح عليه السلام:

عشرات الأدلة الإنجيلية تدل على بشرية المسيح عليه السلام وعبوديته. ومن هذه الأدلة:

١ ــ وصفه بـ (ابن الإنسان) أو (الإنسان):

(ورد في الإنجيل إطلاق (الإنسان) و (ابن الإنسان) على المسيح أكثر من سبعين مرة كما يعلم ذلك من النظر في قاموس الكتاب المقدس)[١].

ولن نستقصي هذه النصوص وإنما سنقتصر على بعضها..

ففي إنجيل متى يطلق المسيح على نفسه (ابن الإنسان) فيقول..: (وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه)[٢]. ويقول: (جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب)[٣].

فهو بشر يأكل ويشرب ويحتاج، وتندرج عليه سائر العوارض البشرية، (ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له)[٤]. وهذا يدل على أن المسيح (ابن الإنسان) مغاير لروح القدس لا متحد معه كما يقول النصارى.

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، د. بطرس عبد الملك ورفاقه / تقديم فيليب حتي، مكتبة المشعل الإنجيلية بيروت ١٩٦٤م.
(٢) متى: ٨/٢٠.
(٣) متى: ١١/١٩.
(٤) متى: ١٢/٣٩.

وفي إنجيل مرقص يرد لفظ ابن الإنسان كذلك في الإصحاح التاسع: (وكيف هو مكتوب على ابن الإنسان أن يتألم أكثر ويرذل)[١]. وفي الإصحاح الرابع عشر (وسوف تبصرون ابن الإنسان)[٢].

أما في إنجيل لوقا فيرد استعمال هذا اللفظ في مواضع كثيرة، نذكر منها: (طوبى لكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيَّروكم وأخرجوا اسمكم كشرّير من أجل ابن الإنسان)[٣].

(لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص)[٤]. وفي هذا الإنجيل أيضاً يطلق على المسيح لفظ (الإنسان) (فلما رأى قائد المائة ما كان مجد الله قائلاً بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً)[٥]. والمقصود بـ (قائد المائة) قائد مجموعة جنود الرومان الذين حضروا مشهد الصلب كما يدل سياق النصوص هنا.

أما في إنجيل يوحنا ففي الإصحاح الأول منه يرد (الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان)[٦].

وهذا النص يدل أيضاً على أن عيسى عليه السلام نبي مرسل، لأن ملائكة الله لا تصعد ولا تنزل إلَّا على الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ويرد في هذا الإنجيل وصف المسيح بأنه (إنسان) فيقول المسيح عليه السلام عن نفسه: (ولكنم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله)[٧].

(١) مرقص: ٩/١٢.
(٢) مرقص: ١٤/٦٢.
(٣) مرقص: ٦/٢٢.
(٤) لوقا: ٩/٥٦.
(٥) لوقا: ٢٣/٤٧.
(٦) يوحنا: ١/٥١.
(٧) يوحنا: ٨/٤٠.

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it

وأي نص أوضح من هذا على بشرية المسيح ورسالته، فهو إنسان مرسل ما كلمهم إلَّا بالحق الذي سمعه من الله تعالى.

هذا وقد نقل لنا الشيخ (عبد الله العلمي) عن الأستاذ (إبراهيم الحوراني) في كتابه (شرح الأسفار الخمسة) قوله: (وقد ثبت أن اسم المسيح في اللغة السريانية والكلدانية (بارانوش) أي (ابن الإنسان)[1].

وقد كتب (أميل لودفيغ) كتاباً سماه (ابن الإنسان) ترجمه الأستاذ (عادل زعيتر) إلى العربية، وكان مما قال (لودفيغ) في هذا الكتاب: (ويعدُّ الجميع المعلم الجديد نبياً، ويبدو المعلم الجديد نبياً، ولم يفكر يسوع في أنه أكثر من نبي.. وقد اختار لنفسه كلمة وجدها صالحة للتعبير عن تواضعه بقوله عن نفسه إنه (ابن الإنسان). وقديماً أراد الأنبياء أن يلفتوا النظر إلى الهوَّة الواسعة التي تفصلهم عن الله فكانوا يسمون أنفسهم (أبناء الإنسان)[2].

بالإضافة إلى النصوص السابقة التي تحدثت بصريح العبارة واصفة المسيح بأنه إنسان أو ابن إنسان، فإننا نجد نصوصاً أخرى دلت في معانيها على بشريته عليه السلام.

ومن ذلك، ما ورد في إنجيل متى في قصة التعميد (حينئذٍ جاء (يسوع) من الجليل إلى الأردن إلى (يوحنا) ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي؟ فأجاب (يسوع) وقال له: اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برّ، حينئذٍ سمح له، فلما اعتمد (يسوع) صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه)[3].

هذا النص يدل بوضوح أن عيسى عليه السلام قبل أن يأتي إلى (يوحنا

(١) سلاسل المناظرة، عبد الله العلمي: ص ٣٨٥.
(٢) ابن الإنسان، أميل لودفيغ، ترجمة عادل زعيتر: ص ٩٦. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابلي الحلبي وشركاه ــ مصر ١٩٤٧م.
(٣) متى: ٣/١٣ ــ ١٧.

http://kotob.has.it

المعمدان) لم يكن الوحي ينزل عليه، وأن أول ما نزل عليه كان بواسطة روح الله (جبريل) الذي نزل على جميع الرسل عليهم السلام. وفي النص إقرار من عيسى ــ عليه السلام ــ بالعبودية لله، فلو كان إلهاً لما تعمد من (يوحنا) وهو الخالق له.

وروى الإصحاح الرابع من إنجيل متى قصة تجربة الشيطان للمسيح ــ عليه السلام ــ والنص كما يلي: (ثم أصعد (يسوع) إلى البرية من الروح ليجرَّب من (إبليس)؛ فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرِّب وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب وقال: مكتوب ليس بالخبز يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأوقفه على جناح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك، قال له (يسوع): مكتوب أيضاً لا تجرِّب الرب إلهك ثم أخذه (إبليس) إلى جبل عالٍ جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، حينئذٍ قال له (يسوع): اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد، ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه)[1].

هذه القصة ــ إن صحت ــ فإن فيها أدلة كثيرة تدل على أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسول من رسله. ومن هذه الأدلة صيامه عليه السلام فلو كان إلهاً فلمن يصوم؟ والصوم عبادة يتوجه بها المرء إلى خالقه ومنها أنه يعتريه الجوع الشديد، وهذه من صفات البشر، غير الممكنة على الله تعالى. وثم إذا كان إلهاً فكيف يجربه إبليس، وكيف يجرؤ (إبليس) اللعين أن يطلب من الله تعالى أن يسجد إليه؟!.

وفي ردود المسيح عليه السلام على (إبليس) تكمن أدلة كثيرة على أن عيسى عليه السلام عبد بشر، فهو يقول للشيطان: (للرب إلهك تسجد وإياه تعبد). فهو

(١) متى: ٤/١ ــ ١١.

http://kotob.has.it

يعلن أن السجود والعبادة لله وحده، وما ادعى المسيح في يوم من الأيام: هذا الحق لنفسه، ولا طالب أتباعه يوماً أن يسجدوا له ويصلوا إليه.

وقد ذكرت الأناجيل أكثر من نص يدل على أن (عيسى) عليه السلام كان يصلي، ومنها ما أورده (لوقا) في إنجيله (وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة لله)[1].

فهو يصلي لله، لأنه عبد له، والعابد غير المعبود، وهذا ينفي كونه إلّهاً، إذ كيف يسجد لنفسه أو يسجد بعضه لبعض، وهذا مستحيل عقلاً، فثبت أن المسيح عليه السلام عبد الله يسجد له، ويعبده ويصلي إليه.

٢ ــ نداؤه (يا معلم):

وقد كثر في الأناجيل نداء المسيح عليه السلام بالمعلم، وخاطبه تلاميذه كثيراً بذلك. ومن هذه النصوص:

(وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية، فقال له: لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلاَّ واحد وهو الله)[2].

والمسيح عليه السلام يطلق على نفسه هذا الوصف، ويوصي تلاميذه قائلاً لهم: (وأما أنتم فلا تدعوا سيدي، لأن معلمكم واحد المسيح، وأنتم جميعاً إخوة، ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات، ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح)[3].

وما أوضح هذا النص في التفريق بين المسيح ــ عليه السلام ــ وبين الله تعالى، فهو يعتبر نفسه معلماً، ووظيفة الرسل عليهم السلام أن يكونوا معلمين، والله تعالى يصف نبينا محمداً ﷺ بقوله: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم

(١) لوقا: ١٢/٦.
(٢) متى: ١٦/١٩ ــ ١٧.
(٣) متى: ٨/٢٣ ــ ١٠.

آياتنا ويُزكيكُم ويعلِّمكم الكتاب والحكمة، ويعلمُكم ما لم تكونوا تعلمون﴾[1].

وعبَّر عن الرب بالآب، ونهى تلاميذه أن يدعوا لهم أباً على الأرض لأن الله تعالى في السماء، فهذا النص توحيد مطلق لله تعالى وبيان لوظيفة (عيسى) عليه السلام بوصفه رسولاً من رسل الله تعالى الذين بعثهم الله ليعلموا الناس التوحيد وما يصلحهم في الدنيا والآخرة.

وفي إنجيل مرقص يخاطب يوحنا المسيح بلفظ المعلم (فأجابه يوحنا قائلاً: يا معلم)[2]. (وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدي، قائلين: يا معلم نريد أن تفعل كل ما طلبنا)[3].

وكذلك خاطبه (سمعان) فأجاب سمعان وقال له: (.. يا معلم)[4] وكذلك قال (بطرس) ومن معه: (قال بطرس والذين معه: يا معلم)[5]، ولم يكن هذا اللقب مختصاً بتلامذته يخاطبونه به، فقد ورد في إنجيل لوقا عن رجل عادي: (وإذا رجل من المجمع صرخ قائلاً: يا معلم أطلب إليك انظر إلى ابني)[6]، وكان اليهود كلهم يعرفونه بأنه المعلم (فأجاب واحد من الناموسيين وقال له: يا معلم..)[7].

وقد استقبله رجال في إحدى القرى وخاطبوه بهذا الوصف: (وفيما هو داخل إلى قرية استقبله عشرة رجال برص، فوقفوا من بعيد، ورفعوا صوتاً قائلين: يا يسوع، يا معلم ارحمنا)[8].

فهؤلاء يعرفونه معلماً، ويعرفون أن من معجزاته إبراء الأبرص بإذن الله، فطلبوا منه أن يبرئهم.

(١) سورة البقرة: الآية ١٥١.
(٢) مرقص: ٣٨/٩.
(٣) مرقص: ٣٥/١٠.
(٤) لوقا: ٥/٥.
(٥) لوقا: ٤٥/٨.
(٦) لوقا: ٣٨/٩.
(٧) لوقا: ٤٥/١١.
(٨) لوقا: ١٣/١٧.

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it

وفي إنجيل يوحنا يقرُّ عيسى عليه السلام تلاميذه وصفهم له بالمعلم، فيقول لهم: (أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك)[1].

من مجموعة هذه النصوص يتضح لنا أن المسيح عليه السلام كان يعرف عند تلامذته وفي البيئة التي عاش بها بأنه معلم، ويلقبونه بذلك لأنهم وجدوا هذا الوصف مطابقاً للمهمة التي جاء بها من عند الله تعالى.

٣ ـ النصوص الدالة على نبوته ورسالته:

يقول المسيح لتلاميذه: (من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني)[2].

وهذا يدل على أن (عيسى) عليه السلام مرسل من عند الله، وطاعته من طاعة الله، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[3].

وتسمع في إنجيل متى تضرع المسيح عليه السلام إلى ربه: (أحمدك أيها الأب رب السماء والأرض)[4]، معلناً بذلك عبوديته له وإقراره له بالربوبية.

وفي قصة المرأة الكنعانية التي يرويها هذا الإنجيل يقول المسيح: (لم أرسل إلَّا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[5]، وهذا إقرار بأنه مرسل، فلو كان إلَهاً فكيف يكون مرسلاً، كما فيه دلالة على خصوصية رسالته عليه السلام لبني إسرائيل.

وفي إنجيل يوحنا نقرأ ما نصه: (لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح)[6].

وهكذا يعلن أنه نبي مرسل من الله يتكلم بكلامه، كما يعلن أن روح القدس

(١) يوحنا: ١٣/١٣.
(٢) متى: ١٠/٤٠.
(٣) سورة النساء: الآية ٨٠.
(٤) متى: ١١/٢٥.
(٥) متى: ١٥/٢٤.
(٦) يوحنا: ٣/٣٤.

لا ينزل عليه وحده وإنما ينزل على جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا تنزل إلَّا عليهم لأنهم يحفظون كلام الله ويؤدونه كما بلغهم روح القدس.

ويقول المسيح عن نفسه: (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني)[1]، ويقول: (والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي)[2].

وحين قام المسيح بإحدى معجزاته قال: (أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني)[3].

فهو يشكر الله تعالى لأنه هو الذي مكنه من فعل تلك المعجزة، وإلَّا فهو بشر لا يستطيع لها فعلاً لولا مشيئة الله تعالى، وقد فعل هذه المعجزة ليؤمن قومه أنه رسول من عند الله، وهذه هي فائدة المعجزة التي تجري على يد رسل الله جميعاً عليهم الصلاة والسلام.

فنبوَّة المسيح عليه السلام ثابتة بنص الأناجيل، رغم أن النصارى لا يعتبرونه نبياً ولا بشراً وإنما هو إلَه حلّ في جسد ليكوِّن أقنوم الابن.

وتشير الأناجيل إلى ابتداء نبوة عيسى عليه السلام، كما ذكرنا في قصة التعميد التي رواها إنجيل متى[4]. وتؤكد نصوص الأناجيل عند ذكر هذه القصة أن المسيح عليه السلام عندما علم أن (يوحنا المعمدان) قد هلك، ترك الناصرة وذهب إلى الجليل وسكن (كفرناحوم)، وكان يكرز[5] ببشارة الملكوت، وكان سنه ثلاثين سنة كما روت الأناجيل.

(١) يوحنا: ٥/٣٠.
(٢) يوحنا: ٥/٣٧.
(٣) يوحنا: ١١/٤١ ـ ٤٣.
(٤) متى: ٣/١٣ ـ ١٧.
(٥) (يكرز) كرز يكرز كروزاً دخل واستخفى والنصارى يقولون كرز يكرز كرزاً وعظ ونادى ببشارة الإنجيل فهو كارز وعمله الكرازة. انظر: قطر المحيط، المعلم بطرس البستاني: ٢/١٨٣٨، مكتبة لبنان ـ بيروت، نسخة طبق الأصل عن طبعة سنة ١٨٦٩م.

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it

وهـذا كله في الحقيقـة يـدل على نبـوتـه عليـه السـلام ويؤيـد هـذا عشـرات النصوص الإنجيلية الواردة في الأناجيل المتداولة التي تصرح بـوصف المسيح عليـه السلام نبياً ومن هذه النصوص:

ما رواه إنجيل متى: إن عيسى ــ عليـه السلام ــ حينمـا جاء إلى قـومه وبـدأ يعلمهم كذَّبوه، وقالوا: (فمن أين لهذا هذه كلها، فكانوا يعثرون بـه، وأما (يسـوع) فقال لهم: ليس نبـي بلا كرامة إلَّا في وطنه وفي بيته)[1].

وفي هذا إقرار من المسيح نفسه أنه نبـي، ولا كرامة لنبـي في وطنه، وعـرف النـاس كلهم المسيح على أنـه نبـي كما يـروي إنجيل متى: (ولمـا دخـل أورشليم ارتجت المدينة كلهـا قائلة من هـذا؟ فقالت الجمـوع: هذا يسـوع النبـي الذي من ناصرة الجليل)[2].

فهـذه الجموع شهـدت بأنـه النبـي الذي من نـاصرة الجليـل، ولم يتبادر إلى أذهانهم أنه إلّه ابن إلّه.

وفي إنجيـل (لـوقـا) يبين المسيـح ــ عليـه السـلام ــ أن مهمتـه أن يبشـر بملكـوت الله ولهـذا أرسله الله (إنـه ينبغي لي أن أبشـر المـدن الأخـرى أيضـاً بملكوت الله لأني لهذا قد أرسلت فكان يكرز في مجامع الجليل)[3].

وانظر إلى قولـه: (لأني لهذا قـد أرسلت) فهي نص واضح على أنـه رسول، بعث بمهمـة وعظ الناس، وتبشيـرهم بملكوت الله، وبيَّن النص كـذلك خصـوصيـة رسالته إلى قومه وأبناء وطنه من بني إسرائيل.

وحينما جاءه بعض الفريسيين لينصحوه بالخروج لأن (هيـرودوس) يهم بقتله، قال لهم: (ينبغي أن أسير اليوم وغداً، وما يليه، لأنـه لا يمكن أن يهلك نبـي خارج

(١) متى: ١٣/٥٦ ــ ٥٧.
(٢) متى: ٢١/١٠ ــ ١١.
(٣) لوقا: ٤/٤٣ ــ ٤٤.

http://kotob.has.it

أورشليم)[1].

ويـروي إنجيل لـوقا أن المسيـح بعـد الصلب ــ كمـا يـزعمـون ــ لقي اثنين يتحـاوران في شأنـه، فسألهمـا عن الأمور التي يتحـاوران بهـا، فقـالا: (المختصَّـة بيسـوع الناصـري الذي كـان إنسانـاً نبياً مقتـدراً في الفعل والقـول أمام الله وجميـع الشعب)[2].

فكان هذا ما وصفاه به (إنسان) نبـي، مقتدر في الفعل والقول، ولم يذكر أنه إلّه أو ابن إلّه.

وفي الإصحاح الرابـع من إنجيل (يـوحنا) تـروى قصة المـرأة السامـرية التي طلب منها المسيح أن تسقيه، وكان قد تعب من السفر، وجلس على بئر يعقوب في منطقة السامرة، فـأبت أن تسقيه لأنـه يهودي، وهي سـامريـة وأنبأهـا (يسوع ببعض الأمور الغيبية، فاستغربت حديثه وقالت: يا سيدي أرى أنك نبـي)[3]، ثم شهـد لها بعد ذلك أنه المسيح، ويذكر هذا الإصحاح أن المرأة: (تركت جمرتها ومضت إلى المدينة، وقالت للناس: هلمـوا انظروا إنسـاناً قـال لي كل مـا فعلت، لعل هـذا هو المسيح)[4]. ولم ينكر المسيح قولها له: إنه نبـي.

ومعلوم أن اليهـود كانـوا ينتظرون المسيـح الذي كـانوا يسمّـونه (مسيـا) وكان الناس كلهم زمن المسيح يعرفونه نبياً. فبينما كان يعظ الجموع ويبشرهم شهـدوا له بالنبوَّة كما ورد في إنجيل (يوحنا)، (فكثيـرون من الجمع لمـا سمعوا هـذا الكلام، قالوا: هذا بالحقيقة هو النبـي.. آخرون قالوا: هذا هو المسيح)[5].

فهم بين فريقين: فريق رأى أنه نبـي من أنبياء بني إسرائيل وهم كثـر، وفريق قال: بل هو المسيح المنتظر.

(١) لوقا: ١٣/٣٣.
(٢) لوقا: ٢٤/١٩.
(٣) يوحنا: ٤/١٩.
(٤) يوحنا: ٤/٢٨ ــ ٢٩.
(٥) يوحنا: ٧/٤٠ ــ ٤١.

http://kotob.has.it

وقد أجرى المسيح عليه السلام إحدى معجزاته على رجل أعمى ففتح عينيه فسأله الناس: (ماذا تقول عنه من حيث إنه فتح عينيك، فقال: إنه نبي)[1].

وفي سفر أعمال الرسل يقول عيسى عليه السلام بصراحة: (فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون)[2]. وأصل النص في سفر التثنية[3]، وذلك يبين أوصاف هذا النبي، وكلها تنطبق على نبينا محمد ﷺ.

هذا النص يدل دلالة واضحة على أن عيسى عليه السلام أحد الأنبياء، وهو مثل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنص يبشر برسالة نبينا محمد ﷺ، حيث إن موسى قد بشر به من قبل وأخبر اليهود أن الله تعالى سيبعث نبياً من إخوتهم أبناء إسماعيل عليه السلام ــ وهم العرب ــ، وعيسى عليه السلام هنا يذكرهم بقول موسى في هذه البشارة، وقد ورد ذلك القول كما قلنا في سفر التثنية، وذكر أوصافاً مطابقة لنبينا محمد ﷺ ومن تلك الأوصاف:

١ ــ إنه نبي (أقيم لهم نبياً).
٢ ــ من بني إسماعيل (من وسط إخوتهم).
٣ ــ مثل موسى في المعجزات والانتصار على الأعداء في الحروب (مثلك)[4].
٤ ــ أميّ لا يقرأ، ولا يكتب (وأجعل كلامي في فمه).
٥ ــ ينسخ شريعة موسى (له تسمعون).
٦ ــ أمين على الوحي (فيكلمهم بكل ما أوحيه به).
٧ ــ يقضي على ملك بني إسرائيل.
٨ ــ لا يقتل (وأما النبي الذي يطغى... إلخ).

(١) يوحنا: ٩/١٧.
(٢) الأعمال: ٧/٣٧.
(٣) التثنية: ١٨/١٥ ــ ٢٢.
(٤) التثنية: ٣٤/١٠ ــ ١٢.

http://kotob.has.it

٩ ــ يتحدث عن غيب يقع في المستقبل كما قال: (وإن قلت في قلبك... إلخ)[1].

٤ ــ وصف المسيح عليه السلام بالعبودية:

أما الشواهد الإنجيلية الدالة على أن المسيح عبد الله، والتي تنفي ادعاء النصارى أنه إلّه أو ابن إلّه، هذه الشواهد كثيرة جداً، وقد أحصى منها صاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) مائة وأحد عشر شاهداً، ونكتفي في هذا الموضع بذكر بعض هذه الشواهد، واخترنا أن تكون هذه النصوص التي سنذكرها واضحة صريحة في دلالتها. والأعراض البشرية تظهر من خلال هذه النصوص على المسيح ــ عليه السلام ــ ومن هذه النصوص:

(ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت)[2].

وهل يمكن للإلّه أن يحزن ويكتئب ويموت؟

وكانت آخر كلمة قالها المسيح وهو ممتثل للصلب ــ كما يزعمون ــ تعلن عن ضعفه وعجزه وعبوديته لله تعالى: (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: (إيلي إيلي لما شبقتني) أي إلّهي إلّهي لماذا تركتني)[3].

وفي إنجيل مرقص يعلن المسيح أنه لا يعلم الغيب، فهو بشر لا يعلم إلّا ما علمه الله تعالى، ويوم القيامة مما استأثره الله تعالى بعلمه، فيقول: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلّا الآب)[4].

فالمسيح عليه السلام ليس إلّهاً يعلم موعد الساعة، لأن علمها عند الله ولم

(١) انظر: أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا: ص ٢٨.
(٢) متى: ٢٦/٢٧ ــ ٢٨.
(٣) متى: ٢٧/٤٥ ــ ٤٦.
(٤) مرقص: ١٣/٣٢.

http://kotob.has.it

يطلعه الله تعالى على ذلك، فأعلن لهم عجزه عن معرفة ذلك اليوم، وهذا موافق لحديث جبريل حينما سأل رسول الله ﷺ: (قال: أخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)[1].

فجبريل ملك من الملائكة المقربين، ومحمد ﷺ أفضل الأنبياء المرسلين، ومع ذلك فهما يستويان في عدم معرفتهما بميقات يوم القيامة.

ويذكر إنجيل (لوقا) قصة الصلب التي (يزعمونها) ويذكر ما قاله المسيح وهو يسلم روحه لربه ــ كما يقولون ــ : (ونادى يسوع بصوت عظيم، وقال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي، ولما قال هذا أسلم الروح)[2].

وفي هذا إقرار واضح أن المسيح بشر مخلوق أسلم روحه لله تعالى، فكيف يكون إلهاً؟.

ويروي إنجيل متى قصة المرأة المجدلية[3] التي رأت المسيح عليه السلام بعد الصلب ــ كما يزعمون ــ فقالت له: (ربوني)[4] الذي تفسيره يا معلم، قال لها يسوع: لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)[5].

والنص واضح في دلالته على بشرية المسيح عليه السلام فالمرأة نادته بـ (يا معلم) لأن هذا الوصف بقي الناس يعرفونه له حتى آخر حياته على الأرض، وهو يقر أتباعه بهذا الوصف، ثم إنه قال لها: لا تلمسيني، والجسدية من صفة البشر، فلو كان إلهاً لما كان له جسد يلمس ويحس، وهذا الأمر كان بعد صلبه ــ كما يزعمون ــ وبعد أن تخلص اللاهوت من الناسوت، ثم قال لها: اذهبي إلى

(١) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الإيمان: ١/١٨. ورواه مسلم في كتاب الإيمان رقم (١): ١/٣٦.
(٢) لوقا: ٢٣/٤٦.
(٣) المجدلية: نسبة إلى المجدل (بلدة في فلسطين بين غزة ويافا).
(٤) ربوني: كلمة عبرية بمعنى يا معلم.
(٥) يوحنا: ٢٠/١٦ ــ ١٧.

http://kotob.has.it

إخوتي فهو بشر مثلهم وهم إخوته، وإلاَّ لو كان إلهاً لكان جميع تلاميذه آلهة ثم أخبرها بأنه سيصعد إلى أبيه وأبيهم وإلهه وإلههم، وهذا نص واضح أن الأبوَّة مجازية، ولو كانت حقيقية لكانوا جميعاً مشاركين للمسيح في البنوَّة، وهذا ما لا يقوله النصارى.

والقصة كذلك تدل على أن المسيح عليه السلام لم يصلب وإنما صعد إلى ربه، وأخبر المرأة التي رأته بعد أن نجا من الذين حاولوا صلبه، أخبرها أن تبشر تلاميذه بأن الله أنجاه وسيصعد إلى ربه في السماء.

ويذكر إنجيل (متى) قصة للمسيح عليه السلام، يجري فيها معجزة أمام تلاميذه، هذا نصها: (وفي الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع، فنظر شجرة تين على الطريق، وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلاَّ ورقاً فقط، فقال لها: لا يكن منك ثمر إلى الأبد، فيبست في الحال، فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين: كيف يبست التينة في الحال؟ فأجاب يسوع، وقال لهم: الحق أقول لكم، إن كان لكم إيمان لا تشكون فلا تفعلون أمر التينة فقط، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون، وكل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه)[1].

وقد استدل (القرافي) رحمه الله من هذا النص على عبودية المسيح عليه السلام من خمسة وجوه:

الأول: جوعه، وهو ينافي الربوبية ويثبت العبودية.

الثاني: عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة، والله بكل شيء عليم، فدل على أنه بشر لا يعلم إلاَّ ما علمه الله.

الثالث: غضبه على الشجرة، لأنه لما انخرم عليه أمله، قوي غضبه، وهذه خاصية البشرية ومنافية للربوبية.

الرابع: تعجب التلاميذ من يبسها بقوله، ولو كانوا يعتقدون ألوهيته لم يعجبوا لذلك.

(١) متى: ٢١/١٨ ــ ٢٢.

http://kotob.has.it

الخامس: قولهم له: (لو كان إيمانكم بغير شك لطاوعكم الجبل) دلَّ ذلك على أنه إنما ظهرت كرامته في الشجرة بإيمانه الصادق لا بكونه إلّه العالم، وإلاَّ كان الجواب: لو كنتم مثل آلهة، وأبناء الله، لفعلتم مثل فعلي، ولا كان يحسن ذكر الإيمان ولا علل به. دل ذلك على أنه نبيه، ودل على إثبات عبوديته وإبطال ألوهيته)[1].

والرسائل التي تعتبر مكملة لأسفار العهد الجديد حوت نصوصاً كثيرة تؤكد بشرية المسيح وعبوديته لله تعالى.

ففي رسالة الأعمال ترد خطبة (بطرس) ومعه بقية تلاميذ المسيح، التي ألقاها وخاطب بها كل الساكنين في (أورشليم) وكان مما جاء في هذه الخطبة: (يسوع الناصري رجل، قد تبرهن لكم من قبل بقوة وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون)[2].

ففي هذه الخطبة يوضح (بطرس) ــ وهو أحد تلاميذ المسيح المعروفين ــ يوضح لليهود حقيقة المسيح عليه السلام، فيذكرهم بأنه رجل من (الناصرة) جاء بآيات ومعجزات أجراها الله تعالى على يديه، وهذا شأن الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وهذه الخطبة يسمعها بقية حواريي المسيح الأحد عشر كما ورد في رسالة الأعمال[3].

وفي رسالة بولس إلى رومية: (الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد آمين)[4].

(١) الأجوبة الفاخرة، القرافي: ص ٩٧. مطبعة الموسوعات بمصر ١٣٢٢هـ (على هامش الفارق بين المخلوق والخالق).
(٢) الأعمال: ٢/٢٢.
(٣) انظر: الأعمال: ٢/١٤.
(٤) رومية: ١/٢٥.

وهذا النص ينطبق تماماً على النصارى الذين ادعوا أن المسيح هو الخالق وبذلك عبدوا المخلوق وتركوا خالقه سبحانه وتعالى.

وفي رسالة بولس الثانية إلى أهل (كورنثوس) (لكنه وإن كان قد صلب من ضعف فإنه حيّ بقوة الله)[1] وهذا إثبات لضعفه، وأنه إنما يحيا بقوة الله شأنه في ذلك شأن غيره من البشر.

وفي رسالة بولس الأولى إلى (تيموثاوس) يقول: (لأنه يوجد إلّه واحد، ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح)[2].

وهذا نص على أنه إنسان وأنه غير الله، وأنه واسطة بين الله وبين الناس يبلغهم تعاليم الله وأحكامه كسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام.

هذه بعض النصوص الإنجيلية التي تشهد بأن عيسى عليه السلام عبد الله، وأحد أنبيائه وأنه بشر كغيره من الأنبياء والمرسلين.

وإنك لتجد هذه النصوص منثورة في ثنايا الأناجيل المتداولة عند النصارى اليوم، رغم التحريف والتبديل الذي لقيته هذه الأناجيل.

ولا شك أن الإنجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام أو الكتب التي وضعها تلامذته في سيرته قبل أن تمسّها أيدي التحريف كانت تحوي نصوصاً أوضح تدل على هذه الحقائق، فالنصارى يحرفون ما لا يروق لهم ما بين الفينة والأخرى، وإن المطلع على الكتاب المقدس بعدة لغات ليجد فرقاً بين كل لغة وأخرى، ويكون هذا الفرق جوهرياً في بعض الأحيان، وأود أن أقدم أنموذجاً واحداً على التزوير في الترجمة وعليه يكون القياس.

ورد في الإصحاح السابع من إنجيل (متى): (ليس كل من يقول لي: يا رب، يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات)[3].

(١) كورنثوس الثانية: ١٣/٤.
(٢) ثيموتاوس الأولى: ٢/٥.
(٣) متى: ٧/٢١.

http://kotob.has.it
http://kotob.has.it